# أثر المعنى النحوي في توجيه الفعل القرائي للنص القرآني
## ـ المعتزلة والشيعة والمتصوفة-نماذج ـ

الطالبة / يعقوب الزهرة[1]
جامعة ابن خلدون تيارت

**الملخص:**

تعددت قراءات الفرق الإسلامية ( الشيعة والمعتزلة والمتصوفة )للنص القرآني، وذلك بتوجيه المعنى النحوي نحو إثبات أصول مذاهبهم التي يدينون بها . فالمعتزلة وجهت قراءتها للنص القرآني لإثبات أصولها الخمسة ( التوحيد، العمل،الوعد و الوعيد،المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. والشيعة وجهت قراءاتها في استغلالها في الفقه من جهة و إبراز قراءات جديدة بخلق معان نحوية جديدة توافق ما يذهبون إليه وينادون به من جهة أخرى.و المتصوفة الذين استفادوا من المعنى النحوي في تأييد شروطهم للسالك في الطريق الصوفي.وعليه ،المعنى النحوي يساهم في توجيه الفعل القرائي للنص القرآني في قراءات الفرق الإسلامية.

**الكلمات المفتاحية:**المعنى النحوي ،النص القرآني المعتزلة،الشيعة،المتصوفة.

***Résumé :*** *Lectures nombreuses sectes islamiques (chiites et soufis et Mu'tazila) texte coranique, sous la direction du sens de la grammaire prouvent actifs doctrines qu'ils professent Valmatzlh dirigé lecture du texte du Coran pour prouver les cinq actifs (normalisation, travail, promesse et menace, milieu de gamme téléchargé, la promotion de la vertu et la prévention du vice Chiites et lectures dirigées en usage dans la jurisprudence d'une part, et en mettant en évidence les nouvelles lectures pour créer une nouvelle grammaire de brillance d'accord pour aller et quoi faire cheerleaders. La signification est la grammaire contribue à l'acte direct de la lecture du texte des lectures coraniques dans les sectes islamiques.*

***Mots clés:*** *sens grammatical, texte coranique, Mu'tazila, chiites, soufis.*

[1] تاريخ الايداع 2018/01/30 تاريخ القبول : 2018/05/13

الفرق الإسلامية نتاج لصراعات وصدامات واختلافات وجوه النظر ،فكرية وإسلامية قديمة ومتجددة من خلال محاولة اقامة روابط متينة تنبع من النص القرآني،وتصب فيه في الوقت نفسه،تلك الروابط التي كانت المنطلق لتأسيس القاعدة المذهبية لكل فرقة،معتمدين على العقل أكثر من الأثر؛متبعين ما ابتدأه النحويون قبلهم متجهين الى تطويع الآيات القرآنية.

لقد تطلعت كل فرقة الى اثبات وجودها من خلال توجيه التركيب النصي- للقرآن الكريم ،بين اثبات أصولها ومعتقداتها،وبين نفي اراء مخالفيها،فوقفت عند مختلف آراء سابقيها فيما يؤيدها وخلقت لنفسها طرائق جديدة مناصرة لما تذهب اليه.فأفرزت تلك التوجهات قراءات متعددة للنص القرآني،يوجهها المعنى النحوي بموجهات الفعل القرائي بين الفرق الثلاث :المعتزلة،والشيعة،والصوفية،تلك الفرق التي طمحت كل واحدة منها الى التدليل على أصولها ومعتقداتها.

ومن هنا يتجلى الإشكال الذي يطرحه تصور البحث،من حيث استغلال المعنى النحوي كنسق تركيبي داخل النص القرآني لإقامة الحجة والدليل للعديد من القضايا الفكرية التي تمثل جوهر الدين الإسلامي،فالمعتزلة تنادي بأصولها الخمسة وهي:التوحيد،والعدل،والوعد والوعيد،والمنزلة بين المنزلتين،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والشيعة تثير قضية الإمامة وعصمة الأنبياء وتجعلها أهم قضاياها،والصوفية التي تتجاوز الظاهر بغية استشراف أبعاد ورائية ميتافيزيقية عبر مقامات عديدة كالتوبة،والورع،والزهد،والفقر ،والصبر،والتوكل،والرضا لتصل الى طريق الفناء وهي الغاية التي تنشدها.فكيف كانت قراءات هذه الفرق الثلاث للنص القرآني للتدليل على أصولها من خلال المعنى النحوي ؟.

يُظهر الإشكال السابق معالم القراءة المذهبية للنص القرآني باتخاذ المعنى النحوي كسبيل لذلك،وللوقوف على تلك المعالم يستوجب البحث تمثله في ثلاثة محاور،هي:

**أولا:أثر المعنى النحوي في قراءات المعتزلة:**

لقد اتخذت المعتزلة خمسة أصول جعلتها أساسا لمذهبّها،حيث يُصرح أبرز أعلامها القاضي عبد الجبار(ت:415ه)،قال:"ألا ترى خلاف الملحدة والمعطلة و المشبهة،قد دخل في التوحيد،وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل ،وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد،وخلاف الخوارج دخل في تحت المنزلة بين المنزلتين،وخلاف الإمامة دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي على المنكر"

[2]، والملاحظ في تصريح القاضي عبد الجبار تثبيته لأصول المعتزلة وحكمه على في هذه الأصول بأحكام مختلفة وفقا للأصل المخالف فيه.

**1.أثر المعنى النحوي في اثبات أصل التوحيد:**

يفيد معنى التوحيد في اصطلاح المعتزلة"العلم بأنّ الله واحد لا يشاركه غيره،فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا على الحد الذي يستحقه والإقرار به"[3].ويتضح من الفهم الاعتزالي للتوحيد بأنّ "الصفات التي يجب أن يتصف بها هي كونه قادرا،عالما،حيا،سميعا،بصيرا ،وقديما "[4].

وقد ذهب المعتزلة الى اثبات بأنّ صفات الله قديمة من خلال الرّد على القائلين بأنّ صفات الله محدثة،كرفضها قراءة قوله تعالى: "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ**"[5]،التي استغل فيها المعنى لـ"حتى"بكونها "اذا دخلت على المضارع جعلته للاستقبال،وهذا يدل على أنّ علم الله تعالى حصل بعد اذ لم يكن موجود "[6].أي محدثا والقول بأنّ العلم قد ورد بمعنى العالم وبمعنى المعلوم ...وإذا ثبت هذا فالمراد بالآية حتى يقع الجهاد المعلوم من حالكم[7].ويستند الزمخشري المعتزلي في التدليل على ذلك الى قراءة يعقوب لقوله:"**نبلو** بسكون الواو،والمعنى:ونحن نبلو أخباركم على الاستئناف،وعدم جعل الفعل نبلو معطوفا على الفعل نعلم المنصوب "[8].وكأنه يرى أنّ المعنى هو"استناد الأفعال للرسول صلى الله عليه وسلم وليس الله تعالى" [9].

2 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.تعليق:أحمد بن الحسين بن أبي هاشم،قدم له:عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة،مصر،الطبعة الثالثة؛1416هـ-1998م،ص:124.

3 -م.س، ص: 128.

4 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.منشورات جامعة قان يونس،بنغازي،ليبيا،الطبعة الأولى؛1999م،ص:450.

5 - سورة محمد،الآية :31.

6 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.ص:194.

7 - م.س،ص:195.

8 -الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.تحقيق وتعليق ودراسة:الشيخ عادل،وأحمد عبد الموجود،وعلي محمد معوّض،مكتبة العبيكان،الرياض،الطبعة الأولى؛1418هـ-1998م،ج5،ص: 31.

9 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:452.

ومواصلة لسياق اثبات أزلية العلم الإلهي،أنكروا تعلق الباءات في قوله تعالى:"**بِمَآ أُنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ** "[10]،وقوله:"**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ** "[11]، وقوله أيضا: "**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ** " [12]. وقالوا:"أنّ هذه الباءات انّما تدخل في الآية كقولهم شيء برجلي،وأجذب بيدي وكتبت بقلمي، وليس العلم بآلة فيما دخل فيه"[13].

فيصبح تأويل هذه الآيات :أنّ الجار والمجرور في نصب حال، والمعنى أنزله بعلمه أي وهو عالم به،وفي الآية الثالثة فانّ العلم بمعنى المعلوم،والمعنى ولا يحيطون بشيء من معلوماته[14].

ومن خلال اثبات أولية العلم الإلهي،نفوا الصفات الجسمية على الله تعالى،مستعينين بالمعنى النحوي للتضمين والتقدير كالآيات التي تضمنت الاستواء،منها قوله تعالى:" **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** "[15]. حيث ضُمن الفعل استوى معنى الأفعال"استولى،واقتدر،وملك،وغلب"،لأنّ الله ليس جسما ودخول ثمّ الدالة على الاستقبال لا يعتد بمن احتج له من المجسمة،لأنها في الحقيقة داخلة على قوله "يُدبّر الأمر"وليست داخلة على استوى الذي هو في محل نصب حال والمعنى:انّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام،ثمّ يُدبر الأمر مستويا على العرض،وهذا يعني أن التدبر من الله تعالى حادث واستواءه ليس كذلك "[16]؛لأنّه نفي عليه –سبحانه وتعالى-الجسمية(الاستواء)،ورُدت ظاهر الآيات التي تشير الى

10 - سورة النساء،الآية:166.

11 - سورة الأعراف،الآية:07.

12 - سورة البقرة،الآية:255.

13 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.ص:212.

14 - ينظر: الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.ج1،ص:481،ج2،ص:180، 424.

15 - سورة يونس،الآية:03.

16 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.تنزيه القرآن عن المطاعن.دار النهضة الحديثة،بيروت-لبنان،ص:175.

رؤية العبد لله تعالى ،حيث "أجمعوا على أنّ الله تعالى لا يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة"[17]،كقوله تعالى"**ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ** "[18]؛ فظاهر الآية يقتضي معنى الظن هو الشك،ولهذا لا يجب أن يكون مظنونه على ما تناوله، وعليه ذهبوا الى تقدير مفعول محذوف يصح اليقين في اعتقاد ملاقاته،والمعنى الذي يعلمون أنهم ملاقو ما وعدهم به من الثواب،فذكر الله تعالى في الآية نفسه،وأراد فعله [19]، وإذا كانت الآية السابقة تتراوح بين القول باليقين والشك في رؤية الله تعالى،فنجدهم في بعض الآيات التي تثبت بنيتها السطحية الى استحالة العبد لرؤية ربه،كما جاء في حوار الله سبحانه وتعالى-مع سيدنا موسى عليه السلام-"**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**"[20]، حيث يثير الزمخشري(ت:538ه)، قضايا تركيبية نسقية من عدة أوجه،فالفعل ارني على ظاهره مفعوله الثاني محذوف والمعنى:أرني نفسك أنظر اليك،على اعتبار أن موسى عليه السلام لم يطلب الرؤية لنفسه،ولكن لقومه الذين قالوا:لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة،لأنه عليه السلام يعرف أن رؤية الله لاتجوز،ولكن لما ألح قومه على رؤيته تعالى طلب لهم الرؤية،ونسبها الى نفسه ،وقد قدر الزمخشري فمحذوفه في جواب الفعل ارني الطلبي،لأن الرؤية غير النظر الذي لا ادراك معه،اذ معنى ارني نفسك،اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر اليك وأراك.وقد استغل المعتزلة "لن"في تأكيد نفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة،واستشهدوا بقوله تعالى ""فلن تأكيد وبيان،لأنّ المنفي مناف لصفاته،وعليه تكون رؤية الله تعالى منافية لصفاته.

أماّ قوله تعالى"**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ** "،فالمعنى فيه على تقدير مضاف محذوف يصح أن يتجلى والمعنى فلما ظهر واقتدر ربه أو ربه أو ارادته لأن الله ليس جسما يصح أن يتجلى،وفي قوله"أنا

17 -ينظر:الشهرستاني،أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد.الملل والنحل.تحقيق:أمير علي مهنا،علي حسن فاعو،دار المعرفة،بيروت-لبنان،الطبعة الثالثة؛1414ه-1993م،ج1،ص:57.

18 - سورة البقرة،الآية:46.

19 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.تنزيه القرآن عن المطاعن.ص:24.

20 - سورة الأعراف،الآية:143.

أول المؤمنين"جعلوا اسم الفاعل متعلقا بجار ومجرور محذوفين تأييد لنفي الرؤية،والمعنى:وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس،وكذا قوله تبت اليك متعلق بمحذوف،والمعنى تبت اليك من طلب الرؤية [21].وهذا دليل على عدم رؤية الله تعالى.وقد ردّ المعتزلة نسبة أفعال البشر- والجوارح الى الله تعالى مستغلين دور الزيادة والتقدير في ذلك،كقوله تعالى: "**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ**"[22]،يقول القاضي عبد الجبار:"انّ المضاف هو المضاف اليه،لأنّ الوجه قد يراد به ذات الشيء،والعرب تقول هذا وجه الرأي ووجه الأمر،وجه الطريق،وعندما يكون الكلام لا بعض له فالمراد به ذاته،وعليه يكون المعنى في الآية :ويبقى ربك"[23]،نافيا صفة الوجه،كما رفضوا أن يكون الله-سبحانه وتعالى- قد كلم موسى عليه السلام،وان كان ظاهرها يُؤكد ذلك،كالآية السابقة،وكقوله تعالى :" **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** "[24]، فقالوا:انّ الله هو المكَلم وليس المكلم،وموسى هو فاعل الكلام،وليس الله تعالى وعليه ،فانّ القراءة الصحيحة في الآية هي:"كلم الله موسى تكليما"،وقد استشهد ابن جني على صحتها بقوله عز وجل حكاية موسى "رب ارني أنظر اليك"التي يخاطب موسى الله،وبهذا تكون هذه القراءة صحيحة،يؤيد ما يذهب اليه كما يفهم من كلام ابن جني [25].

ويلحظ مما سبق،أنّ الانتقال من القراءة الظاهرية الى القراءة التأويلية الباطنية خدمة لفكرهم الاعتزالي ولو على حساب النص القرآني سواء في لفظه أو معناه.

### 2.أثر المعنى النحوي في اثبات أصل العدل:

العدل في اصطلاح المعتزلة المراد به أنّ أفعاله –الله تعالى-كلها حسنة،وأنه لايفعل القبيح،ولا يخل بما هو واجب عليه [26]،واتصل هذا المبحث بخلق القرآن،وحدوث كلام الله،والهدى والظلال[27].

---

21 - ينظر: الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.ج2،ص:501-505.

22 - سورة الرحمن،الآية:26،27.

23 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:473.

24 - سورة النساء،الآية:164.

25 - م.س،ص:477.

26 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.ص:132.

27 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:483.

ومن ذلك قوله تعالى :" **إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا** "[28] ،حيث ذهبوا الى ان قوله تعالى قرآنا عربيا حالات من الهاء في أنزلناه،وهذا يدل على خلق القرآن،ذلك لأن قوله قرآنا يعني مجتمعا أو مجموعا،وهذا الوصف لا يصح الا على الأفعال التي تجتمع مرة،وتفترق اخرى،وقوله عربيا انه حدث عربيا مواضعة العرب على اللغة العربية،وهذا يدل على حدوثه،والمعنى:أنزلنا القرآن في حال كونه قرآنا أي:مجتمعا وعربيا[29].

وإصرارا منهم على القول بخلق القرآن استعانوا بقوله تعالى:"**مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ**" [30] ،حيث ذهبوا الى أن قوله:"**محدث** صفة لذكر على المحل،لأنّ قوله "ذكر"مرفوع محلا مجرور لفظا،لأنه فاعل للفعل يأتي" [31].وهذا دليل على خلق القرآن،لأنهم لو يجعلوا محدث صفة للذكر وقالوا انّ القرآن الكريم قديم،لكن المحدث هو اتيانه،ولهذا قدروا محذوفا...والمعنى:ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث في التنزيل اتيانه،مبتدأه تلاوته[32].وهذا دليل نفي خلق القرآن عند مخالفيهم.

وقد أنكر المعتزلة أن تكون آيات الهدى والضلال بمعنى خلق الإيمان والطاعة أو الكفر والمعصية في النفس البشرية،ففي قوله تعالى: " **يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ** "[33] ،ذهب القاضي عبد الجبار الى تضمين "يُضل"معنى يهلك،والمعنى يهلك به كثيرا،لأنه لو أراد به يضل الكفر والمعصية لكان قد أضل به الفاسق والكافر والمؤمن على السواء...أما

28 - سورة يوسف،الآية:02.

29 - ينظر: الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.ج3، ص:250.

30 - سورة الأنبياء،الآية:02.

31 - ينظر: م.س،ج4،ص:126.

32 - النسفي،أبو البركات عبد الله بنأحمد بن محمود.تفسير النسفي.تحقيق:سيّد زكريا،مكتبة نزار مصطفى الباز،ج2،ص:700.

33 - سورة البقرة،الآية:25.

قوله"يهدي"فانه اما يحمل على معنى الدلالة والبيان،وان يتعلق لمحذوف،والمعنى:يهدي بالإيمان له في الآخرة الى طريق الجنة كثيرا،ولو أن المراد بالضلال العقوبة لما ذمهم الله في الآية[34].

ويتضح مما سبق،أن المعتزلة أرادوا بنفي خلق الإيمان والطاعة أو الكفر والمعصية في النفس البشرية تثبيتا لمبدأ حرية الاختيار.

**3 .أثر المعنى النحوي في اثبات أصلي الوعد والوعيد و المنزلة بين المنزلتين:** ينحصر أصل الوعد والوعيد عند المعتزلة "بأنه يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب،وتوعد العصاة بالعقاب،وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة،ولا يجوز عليه الخلف والكذب "[35]،ومن أصل الوعد والوعيد ينبثق أصل المنزلة بين المنزلتين،لأنّ كلاهما "ينبني على تصورهم للإيمان وتصورهم للعدل الالهي كما شرحوه،وعلى قولهم في أن العالم سائر لغرض يرمي الى تحقيقه "[36].وعليه جنحوا الى بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر للوصول الى اثبات أصلي الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين،واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: "**وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ**"[37]،ذاهبين الى أن"عطف التقوى على الإيمان شرط في التكفير وإدخال الجنة،ولا يجوز مطلقا جعل الفعل آمنوا هو فعل الشرط وحده بدون تقدير الفعل "اتقوا"معه،اذ بدون اتقوا لا يحصل جواب الشرط" [38].

ويرشدنا هذا الى أن أهل الكتاب لو جمعوا بين التقوى والإيمان لكُفر عنهم ذنوبهم وأدخلوا جنات النعيم،وخذا دليل على القول بالمنزلة بين المنزلتين-مرتكب الكبيرة-.

وقد استغلت المعتزلة المصادر والعطف والرتبة(التقديم تأخير) في تحقيق الوعد الالهي كقوله تعالى:"**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ**

34 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.تنزيه القرآن عن المطاعن.ص:19.

35 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.ص:135، 136.

36 - أمين،أحمد.ضحى الإسلام.دار الكتاب العربي.بيروت-لبنان،الطبعة العاشرة،ج3،ص:61.

37 - سورة المائدة،الآية:65.

38 - الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.ج2،ص:268.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا "[39]،حيث ذهب الزمخشري الى أن قوله:""**وعد الله حقا**"مصدران،الأول:مؤكد لنفسه،والثاني:مؤكد لغيره،وكذا عدّ جملة "**من أصدق من الله قيلا**"جملة مؤكدة والمعنى وعد الله وعدا حقا ومن أصدق من الله قيلا،وذلك معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه،ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله "[40]. كما قال بتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى:" **فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ** "[41]،فقدم الوعد على الرسل" ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله :"**انّ الله لا يخلف الميعاد** "ثمّ قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا،وليس من شأنه اخلاف المواعيد،كيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته"[42].كما تنبّه الى الابتداء وعدم العطف على الجزم في قوله تعالى:"**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ** "[43]،فيقول:"لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار،وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا،كأنه أخبركم أنهم ان يقاتلوهم ينهزموا،ثم أخبرهم أنهم لا ينصرون،فان قلت:فما معنى التراخي في ثمّ ؟قلت:التراخي في المرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليهم الأدبار" [44].

وفي مقابل الوعد الإلهي أكدوا الوعيد الإلهي،وقالوا بالزيادة والتقدير والمعنى النحوي لـ"**من**" كقوله تعالى:"**أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** "[45]،حيث وردت من زائدة

39 - سورة النساء،الآية:121.

40 - ينظر: م.س،ج2،ص:151.

41 -سورة ابراهيم،الآية:47.

42 - الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج3،ص:391.

43 - سورة آل عمران،الآية:111.

44 - م.س،ج1،ص:610.

45 - سورة نوح،الآية:03، 04.

والمعنى:"**يغفر لكم ذنوبكم**"اذ ليست في هذا الموضع للتبعيض،لأن من يفعل ما أمر به قبل ذلك يستحق غفران ذنوبه جميعا،وهذا وعيد من الله تعالى للمطعين من عباده"[46]،وقوله تعالى: "**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**"[47]،حيث قدروا مفعولا به محذوفا للفعل تعلمون اثباتا لوعيد الله تعالى للمطيعين والكفار بالثواب والعقاب،دفعا لهم الى التمسك بطاعته والامتثال لأوامره،والمعنى كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم في الدنيا في الحياة والممات،وهذا في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون ما يكون لكم في الآخر من ثواب وعقاب[48].

وذهبوا الى ما يفيده المعنى النحوي"**من**"في قوله تعالى :" **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ** "[49]،وهو العموم والاستغراق،لإثبات أن صاحب الكبيرة مخلد في نار جهنم،إلا اذا تاب وندم على فعلته[50].

ويتبين أن أصلي الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين يكرّس حتمية العقاب والثواب.

لقد أكد المعتزلة من خلال تأويلاتهم على أن يكون النص القرآني تابعا لمعتقدهم الديني،ولهذا حاولوا استغلال التضمين والقول بالحذف،وتقدير المحذوف والتقديم والتأخير،والقول بالزيادة كما استحدثوا معان نحوية جديدة لإثبات ما ينادون به، واهتموا بالقراءات التي تخدم أغراضهم سواء متواترة أم غير متواترة مستندين في ذلك الى الأدلة العقلية.

**ثانيا:أثر المعنى النحوي في قراءات الشيعة:**

تقاطعت المعتزلة والشيعة في أصول التوحيد والعدل،والوعد والوعيد،وتفرقت في أصلي المنزلة بين المنزلتين والإمامة،فالمعتزلة كان أصل المنزلة بين المنزلتين سبب نشأتها،والشيعة كان أصل إمامة علي بن أبي طالب من أهم أسباب ظهورها،وعليه تقوم الشيعة على أصل الإمامة والعصمة،ورفض مبدأ الشورى والرجعة.

---

46 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.تنزيه القرآن عن المطاعن.ص:436.

47 - سورة التكاثر،الآية:03، 04.

48 - م،س،ص:477.

48-سورة البقرة، الآية:81.

50 - الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.ص:651.

**1.أثر المعنى النحوي في اثبات إمامة علي بن أبي طالب:**

استدل الشيعة على ثبوت ولاية علي بن أبي طالب من قوله تعالى:" **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ**"[51] ،فذهبوا الى أن قوله"**وهم راكون**"جملة حالية من الضمير في يؤتون الزكاة،والتقدير:يؤتون الزكاة راكعين،واستدلوا على ذلك بآثار رويت على السلف تثبت أنّ عليا –كرم الله وجهه-تصدق بخاتمه وهو راكع وعلى هذا فانّ الله تعالى نص على ولايته نصا ظاهرا،واستندوا الى التعبير بانما التي تحوي"إن "وهي أداة التوكيد،وما الكافة لها عن العمل مخصصة لما أثبت بعدها،نافية لمّا ما لم يثبت...وعليه فإنها في الآية تعني تخصيص الولاية لمن ذكروا في الآية دون سواهم...كما أن لفظ الجمع في الذين لا يعني أنّ عامة لكل المؤمنين،و انما هي خاصة بـ"علي بن أبي طالب" دلالة النص على ولايته،وعبر بلفظ الجمع والمعبر عنه مفرد:سيرا على سنة العرب في كلامهم اذا أرادوا التفخيم والتعظيم المعبر عنه[52].وأكدوا حق ولاية علي بن أبي طالب من قوله تعالى: "**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ** "[53] ،وذلك أنّ قوله بلّغ ما أنزل من ربك متعلق بمحذوف قدره الإمامة في شأن علي وشأن الولاية،والمعنى:يا أيها الرسول بلّغ و أنزل اليك في شأن علي وشأن الولاية"[54].وقد استنكر الكثير من المفسرين هذا التأويل وذهبوا الى أن المعنى " بلّغ جميع ما أنزل اليك،وأي شيء أنزل اليك،غير مراقب في تبليغه أحد،ولا خائف أن ينالك مكروه"[55] ،ونجد بعضهم يربط ما يسمى بالواو الثمانية "التي جاءت اما في ثامن العدد أو ثامن النعوت

51 - سورة المائدة،الآية:55.

52 -ينظر:الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.دار الفكر،دار الكتاب،بيروت –لبنان،1376هـ-1957 م،ج6،ص:124.نقلا: العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:130.

53 -سورة المائدة،الآية:67.

54 - ينظر:الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.ج6،ص:152-154.

55 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:575، 576.

الى تمكين ثامن الخلفاء الأمجاد،وأن يفتح الله له جميع البلاد"[56]، والمقصود به الخليفة الثامن على الدولة الفاطمية.

**2.أثر المعنى النحوي في إثبات العصمة للأنبياء والأئمة:**

اشترط الشيعة أن يكون الأنبياء والأئمة معصومين على الخطأ،ومن الآيات التي رأوا فيها تأييدا لما ذهبوا اليه،قوله تعالى:"**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** "[57]، فقالوا:"إن المراد بها ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر بشفاعتك،وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه وما تأخر،كما يقول القائل لغيره،صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك،وحسنت إضافة ذنوب أمته اليه للإيصال والسبب بينه وبين أمته،ويؤيد هذا الجواب ما رواه الفضل بن عمر عن الصادق،قال:سأله رجل عن هذه الآية،فقال:والله ما كان له ذنب،ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي-كرم الله وجهه-"[58].فكان سبيلهم الى هذا المعنى هو:"أن الضمير الكاف هو ضمير الرسول –صلى الله عليه وسلم-وكان مضافا الى أمته،وليس الى الذنب المذكور في الآية،والتقدير:ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر ثم حذف المضاف وأضيف الضمير الى الذنب لاتصال الرسول الرسول-صلى الله عليه وسلم-بأمته"[59]،وبذلك حلت له شفاعة غفران ذنوب شيعة علي كرم الله وجهه،واستنكر الشيعة تأويل المفسرين لقوله تعالى:"**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** "[60]،أن يكون يوسف عليه السلام قد همّ بالفاحشة وذهبوا الى حمل الهم على العزم،ولهذا كان لابد لهم من التقدير يتفق مع عصمة يوسف عليه السلام،فقالوا:"أما في قوله"وهمّ بها" فانه لابد من تقدير مضاف محذوف يصح تعلق عزم يوسف به،وبما أنّه يمكن أن يعلق عزمه عليه السلام،بغير القبيح،فهذا المحذوف تقديره:وهمّ بضربها أو

56 - ينظر:القرطبي،أبوعبد الله محمد بن أحمد.الجامع في لأحكام القرآن.خرج أحاديثه:محمد بن عباد بن عبد الحليم،أحمد بن شعبان بن محمد،مكتبة الصفا،القاهرة-مصر،الطبعة الأولى؛1425هـ-2005م،ج6،ص:183،182.

57 - سورة الفتح،الآية:01، 02.

58 - الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.ج26،ص:52.

59 - العشبي،بشيرة علي فرح.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص: 584.

60 - سورة يوسف،الآية:24.

بدفعها عن نفسه،وعليه يكون معنى قوله تعالى:لنصرف عنه السوء والفحشاء صرفنا عنه القتل وظن اقتراف الفاحشة به.ويكون جواب لولا محذوفا،والتقدير:لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك أي لضربها أو دفعها عن نفسه"[61].ولتثبيت مذهبهم بالأدلة والبراهين لجأوا الى صنع قراءات تمس لفظ النّص القرآني.

**3.خلق قراءات نحوية جديدة للنّص القرآني لإثبات الإمامة والعصمة:**

أصر الشيعة على القول بالإمامة وعصمة الأنبياء،فخلقوا قراءات جديدة تتماشى مع ما يدعون اليه،كما في قوله تعالى:"**وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ** "[62]،حيث "غيروا لفظ "ضالا" بالنصب الى ضالٌ بالرفع،وفعل المعلوم الى المجهول،فهُدَى،وبهذا التغيير اليسير تأخذ الآية هذا المعنى :وجدك ضالٌ فصار بك مهديا"[63]،وهذا تأييد لأصل عصمة الأنبياء.

كما قاموا بإحداث تغيير بسيط في الصيغة الصرفية في قوله تعالى:"...**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا.**"[64]،وذلك بنقل الصيغة من الجمع الى المثنى،لأنهم يرون أنهم اغتصبا الخلافة من علي بن أبي طالب،وتكون الآية على هذا الشكل،وما كنت متخذ المضلّين عضدا" [65].

وهنا يتضح أن نشأة النحو التفسيري المذهبي الذي يراعي فيه المعاني النحوية النابعة من التراكيب القرآنية مؤيدة لمذهب المفسر.

**4.أثر المعنى النحوي في رفض الشورى عند الشيعة:**

يخالف الشيعة المعتزلة بالقول بمبدأ حرية الاختيار والشورى وذهبوا الى تفسير قوله تعالى:"**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا**

61 -ينظر: العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:589، 590.

62 -سورة الضحى،الآية:07.

63 - جولد تسهير،اجنش.المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن.نقله الى العربية:علي حسن عبد القادر،مطبعة العلوم،شارع الخليج القاهرة-مصر، الطبعة الأولى؛ 1363هـ-1944م، ج2،ص:309.

64 _سورة الكهف،الآية:51.

65 -ابن عاشور،محمد الطاهر.التحرير والتنوير.الدار ا لتونسية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984م،ج15،ص:342.

**يُشْرِكُونَ**"[66]،فقالوا:"ان الخيرة اسم من الاختيار أقيم مكان المصدر،واسم للمختار أيضا،فيقال:محمد رسول الله –صلى الله عليه وسلم –خيرة الله من خلقه،وعليه فانه المعنى من وجهين :الأول:أن تكون ما نافية،والمعنى على تقدير مفعول به محذوف للفعل يختار،والتقدير:ربك يخلق ما يشاء من الخلق ،ويختار تدبيره عباده على تقدير جار ومجرور محذوفين عائدين على ما ...ويكون الوقف على قوله تعالى "**الخيرة**"وتكون الآية كلها متصلة بعضها ببعض،وعلى ذلك أيضا الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار ولا أحد سواه يخول له ذلك..."[67] ،في كلا الوجهين فسر الشيعة الآية على نفي الشورى،ونفي الاختيار عن غير الله تعالى.

## 5.أثر المعنى النحوي في إثبات رجوع المهدي المنتظر(الرجعة):

يتوقع الشيعة بظهور الإمام المهدي،وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم عندما تكتمل معالم "الدولة الإسلامية العالمية ويمارس دوره القيادي بشكل مباشر"[68] ،وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى:"**ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** "[69]،حيث ذهب الطبرسي(ت:548ه)، الى القول بأن:"الغيب هو كلّ ماغاب عنك ولم تشهده،وعلى هذا فقوله بالغيب إجمالا لما فصل في قوله تعالى:"**كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**"[70]،وعلى هذا يكون المعنى:أنهم يؤمنون بما كفر به الكفار من وحدانية الله وإنزال كتبه وإرسال رسله وعليه يكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول به ليؤمنون"[71].ثم يرى وجها نحويا آخر يؤيد عقيدة المهدي وهو أن يكون بالغيب حالا،والمعنى:يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين،والتقدير:يؤمنون غائبين عن سراه الناس لايريدون بإيمانهم تصنيفا لأحد ولكن يخلصون لله ويقترح وجها آخر وهو أن الغيب يعني ما غاب عن العباد علمه،وفضل هذا المعنى،وقال:"انه يدخل فيه ما رواه الإمامية عن زمان غيبة المهدي عليه

66 - سورة القصص،الآية:68.

67 -ينظر: الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.ج20،ص:314.

68 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:613.

69 - سورة البقرة،الآية:03.

70 - سورة البقرة،الآية:284.

71 - الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.ج01،ص:79.

السلام وقت خروجه [72].فالمقصود بالآية في نظرهم أنّ الذين يؤمنون هم فرقة الشيعة بعودة المهدي المنظر الذي غاب علمه على العباد.

**ثالثا:أثر المعنى النحوي في اثبات الطريقة الصوفية:**

تنبثق الصوفية من المعنى الروحاني،لهذا فهي تختلف عن الفرقتين السابقتين،لأنها تعتمد على القراءات الإشارية والرمزية،وعليه فهي"تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى- اشارات خفية،تظهر لأرباب السلوك،ويمكن التطبيق وبين الظواهر المرادة"[73]،ولهذا نجد لهم اهتماما بالمعنى النحوي المنبثق من الآيات القرآنية إلا في بعض المواضع القليلة.

فالصوفي يعد نفسه في رحلة البحث عن ربه بسلوكه طريقا يبدأ بمجاهدة النفس.

وعليه،فالصوفية تقف بتأمل في النّص القرآني،فبحثت على المعاني الروحانية التي تدعو الى مجاهدة النفس عبر مسالك ومقامات عديدة،مستعينة بالذكر الذي يعد أهم حلقة ليصل بها الى الفناء في الله،وهي نهاية الطريقة الصوفية،كقوله تعالى:"**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** " [74]حيث قدروا محذوفات متعلقة بالأفعال للوصول الى تلك المقامات،والمعنى:"ياآيها الذين آمنوا اصبروا لله وصابروا مع الله،ورابطوا بالله أي اصبروا في مقام النفس بالمجاهدة،وصابروا في مقام القلب مع سطوات تجليات صفات الجلال بالمكاشفة،واربطوا في مقام الروح ذواتكم بالمشاهدة واتقوا الله في مقام الصبر عن المخالفة والرياء في المصابرة عن الاعتراض والامتلاء وفي المرابطة عن البقية والجفاء "[75].ويبدو أن تقدير المحذوفات سبيل للكشف عن المقامات الصوفية.

فالوصول الى طريق الفناء يتم عبر تلك المقامات،وعليه ذهب محي الدين بن عربي(ت:638ه)، الى تقدير محذوفات هاجروا،قتلوا،ماتوا في قوله تعالى:"**وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُواْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ** "[76]،قال:"**والذين**

72 - ينظر: الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.ج1،ص:82.

73 - الذهبي،محمد حسين.التفسير والمفسرون.مكتبة وهبة،مصر،ج2،ص:261.

74 - سورة آل عمران،الآية:200.

75 - ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.دار اليقظة العربية،بيروت-لبنان،الطبعة الأولى،ج1،ص:245.

76 - سورة الحج،الآية:56.

**هاجروا**"عن موطن النفوس مقارها السلفية في سبيل الله،ثم قتلوا بسيف الرياضة والشوق،أو ماتوا بالإرادة والذوق ليرزقهم الله من علوم المكاشفات وفوائد التجليات رزقا حسنا،وليدخلنهم مقام الرضا،وإن الله لعليم بدرجات استعداداتهم واستحقاقاتهم وما يجب أن يفيض عليهم من كمالاتهم"[77]، وتأكيدا على أن يكون السالك الى الله تعالى متعلق به،بقلبه وحواسه وجوارحه،ولا يشغله شيء الا الله تعالى قدروا لفظ الجلالة اسما لكان في قوله تعالى:"**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** "[78]،أي" لمن كان الله قلبه"[79]،وبذلك يصل الى قمة المعرفة الصوفية.

واشترطت الصوفية للحصول على المعرفة الصوفية،أن يتخذ السالك شيخا ينير له الطريق أمامه ويقدم له خلاصة تجربته التي وصل بها الى مقام الفناء ولذلك جعلوا له وصفا مستمد من قوله تعالى:"**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** "[80]،بتقدير أحوال محذوفة يتعلق بها الفعلان "يتجافى"،و"يدعون"،ومجرورات يتعلق بها خوفا وطمعا ورزقناهم ويتقون،والمعنى:تتجافى جنوبهم بالتجرد عن الغواشي الطبيعية،والقيام عن المضاجع البدنية والخروج عن الجهات بمحو الهيئات،ويدعون ربهم بالتوجه الى التوحيد في مقام القلب خوفا من الاحتجاب بصفات النفس،لتلوين وطمعا في لقاء الذات"ومما رزقناهم"من المعارف والحقائق ينفقون على أهل الاستعداد [81]،أي بتميّزهم بالتضرع ونقل تجاربهم الى السالك الى الله،وإصرارا منهم على أهمية الشيخ في اتباع الطريق الصوفي قدروا خير للدلالة على وجوده في قوله تعالى:"**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** "[82]،والمعنى:ولا تكونوا ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لإمام ولا متفقين على كلمة واحدة بإتباع مقدم يجمعكم على

77 - ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.ج2،ص:112.

78 - سورة ق،الآية:37.

79 - ينظر: العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:655.

80 - سورة السجدة،الآية:16

81 - ينظر: ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.ج2،ص:279،278.

82 - سورة آل عمران،الآية:105.

طريقة واحدة،كالذين تفرقوا واتبعوا الأهواء والبدع"[83]،أي ضرورة اتباع الشيخ فتجسيد الطريق الصوفي يلزم على السالك في بدايته قهر النفس وإذلالها ومجاهدتها لأن تطهير النفس التقوى.

وتأكيدا على ذلك،ذهبوا الى تأويل قوله تعالى:"... **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ** "[84]،بخلق معنى نحوي جديد يثبت الى ماذهبوا اليه،والمعنى:"من ذل من الذل،ذي اسم اشارة الى النفس يشف من الشفاء جواب من،ع أمر من الوعي"[85]، وقوله أيضا:"**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**"[86]، يشير ابن عربي الى تقدير بدل محذوف،ومضاف محذوف،وحذف أل التعريف،وتعليق آمنا بالمحذوف يقول:"واذا قال ابراهيم ربّ اجعل هذا الصدر الذي حرم القلب بلدا آمنا من استيلاء النّفس واغتيال العدو اللعين...وارزق أهله من ثمرات معارف الروح أو حكمه وأنواره"[87].

كما جعلوا للذكر منزلة خاصة في الطريقة الصوفية،لأنه صلة السالك بالخالق سبحانه وتعالى وعليه أولوا قوله تعالى:"...**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**"[88]الى القول بأن تأويله يتكون من كلمتين تأويل مضافة الى ضمير الرفع هو بدلا من الضمير "الهاء" المتصل،والمعنى:وما يعلم تأويل هو أي اسم الله تعالى الا الله ،وذلك حتى يثبتوا أن القرآن الكريم يشير الى الأسرار التي لا نهاية لها في اسم الله تعالى"[89].

---

83 - م.س،ج1،ص:207.

84 - سورة البقرة،الآية:254.

85 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:658.

86 - سورة البقرة،الآية :126.

87 - ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.ج1،ص:84.

88 - سورة آل عمران،الآية:07.

89 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:659.

لاشك أن هذه القراءة خرجت عن أصول قراءات النحويين،لأن الإضافة الى ضمائر الرفع غير وارد لديهم.

ووصولا الى نهاية الطريق الصوفي الذي يطمح اليه كل سالك واستشهدوا بطائفة من الآيات استغلوا فيها الوقف والتقدير لتدليل على ذلك ،كقوله تعالى:"...**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** "[90]،حيث قدروا حالا محذوفة يتعلق بها فاعل الفعل يعتصم،والمعنى ومن يعتصم بالله بالانقطاع عما سواه والتمسك بالتوحيد الحقيقي"[91]،أي متمسكا بالفناء فيه.

وعبروا عن الموت بالفناء في قوله تعالى:"...**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** "[92]،والمعنى:"ولا تموتن الا على حال اسلام الوجوه له،أي:ليكن موتكم هو الفناء في التوحيد"[93]. وقالوا بالوقف على شيء والاستئناف بقوله خلقناه في قوله تعالى:"**إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ** "[94]،والمعنى:"انّا كل شيء أي نحن خلقناه كل شيء بقدر،اثباتا لأنّ الصوفية الفانين في الله متحدين معه،هم كل شيء لأنّ الله تعالى عين الأشياء جميعا "[95]،ويبدو واضحا أنّ المعنى الذي ذكروه جيء به لخدمة غرض عقائدي وهو الفناء.

### 1.أثر المعنى النحوي في نفي حرية الاختيار:

ترى الصوفية أنّ أفعال العباد من عند الله تعالى،وأنّ الله هو أوجدها،وان نُسبت عليهم،ولهذا أولوا قوله تعالى:"**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** "[96]الى أنّ ما في قوله تعالى"**ماتعلمون**"اسم موصول بمعنى الذي في محل نصب مفعول به،وانّ الفعل خلق مُضمن معنى الإيجاد،والمعنى:والله خلقكم وخلق

90 - سورة آل عمران،الآية:101.
91 - ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.ج1،ص:205.
92 - سورة آل عمران،الآية:102.
93 - م.س،ج1،ص:205.
94 - سورة القمر،الآية:49.
95 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:661.
96 - سورة الصافات،الآية:96.

ماتعلمون،أي:أوجده.وبذلك أثبتوا أن الفعل وان كان منسوبا الى الناس بقوله تعالى "تعلمون"،فان أوجده على هذا التأويل"[97].

واثباتا أنّ الخير والشر من عند الله تعالى،ذهب أبوحامد الغزالي الى تأويل قوله تعالى:"**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ**"[98]، جاعلا قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مقول الفعل للفعل يقول محذوفا،والمعنى هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا،في حال كونهم يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله ،وما أصابك من سيئة فمن نفسك.

أو يكون الفعل المقدر في محل نصب مفعول لأجله،والمعنى:لايكادون يفقهون حديثا لأنهم يقولون أو لقولهم كذا وكذا،وذلك حتى لايكون قوله تعالى:ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك،خبرا مثبتا من الله تعالى وبذلك تكون الآية غير مناقضة لقوله تعالى:" **قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ** "[99].

ويتبين مما سبق،أن المعنى النحوي كان له أثر في توجيه القراءة بما يخدم النزعة الصوفية.

**2.أثر المعنى النحوي في القول بالتنزية والتشبيه في صفات الله تعالى:**

97 - ينظر: ابن عربي،محي الدين.الفتوحات المكية.ضبطه ووضع فهارسه:أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،الطبعة الثانية؛1426هـ-2006م،ج4،ص:38.

98 - سورة النساء،الآية:77.

99 - العشبي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.ص:669.

يقصد بالتنزيه عند الصوفية أن الله تعالى "لا يصدق عليه وصف إلا الإطلاق،وفي الإطلاق تنزيه"[100]،ويقصد بالتشبيه بالله تعالى"اذ نظرنا اليه من حيث ذاته في صور الوجود،فهو يسمع ويبصر- مثلا لا معنى أن سمعه وبصره يشبهان سمع المخلوقات وبصرهم،بل بمعنى أنّه متجلّ في صوره كل ما يسمع وما سمع وكل ما يبصر وما يبصر "[101]،وإثباتا للتنزيه والتشبيه استدل ابن عربي بقوله تعالى"**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**"[102] ،بيّن ذلك من وجهين نحويين،الأول:الى عد الكاف في قوله "كمثله"زائدة،والمعنى ليس مثله شيء وبهذا يثبت التنزيه لله تعالى،وقوله تعالى:"**هو السميع البصير**"تشبيه لأنّ وصف الله بأوصاف المحدثات التي تسمع وتبصر.

وأما الثاني:أن تعد الكاف في قوله "**كمثله**"غير زائدة،والمعنى:"ليس مثل مثله شيء،وهذا اثبات التشبيه،لأنه أثبت أنّ الله مثلا ،ونفي مثل المثل،وقوله وهو السميع البصير تنزيه،والمعنى:أنه وحده الذي يسمع ويبصر" [103].فالصوفية من خلال أبرز أعلامها تؤكد التنزيه والتشبيه في اطار وحدة الوجود. والناظر لما سبق،يجد أن الفرق الثلاث استغلت المعاني النحوية استغلالا كبيرا لتأييد الأصول التي ينادون بها،فاستدلوا بالحذف والتقدير والتضمين والزيادة والتقديم والتأخير لتأويل ظاهر الآيات لتوافق توجهاتهم،فان لم يساعدهم ذلك قاموا بصنع قراءات جديدة وصلت بهم الى مسّ لفظ النّص القرآني،وهذا كله في اطار الجدل العقلي

## ●مكتبة البحث:


## ● القرآن الكريم

1. أمين،أحمد.ضحى الإسلام.دار الكتاب العربي.بيروت-لبنان،الطبعة العاشرة.
2. جولد تسهير،اجنش.المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن.نقله الى العربية:علي حسن عبد القادر،مطبعة العلوم،شارع الخليج القاهرة-مصر، الطبعة الأولى؛ 1363هـ-1944م.


100 - ابن عربي،محي الدين.فصوص الحكم.تحقيق:أبو العلا عفيفي،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،الطبعة الثانية؛1980م،ج2،ص:32.

101 - سورة الشورى،الآية:11.

102 - م.س،ج2،ص:32.

103 - م.س،ج2،ص:36.

3. الذهبي،محمد حسين.التفسير والمفسرون.مكتبة وهبة،مصر.
4. الزمخشري،أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.تحقيق وتعليق ودراسة:الشيخ عادل،وأحمد عبد الموجود،وعلي محمد معوّض،مكتبة العبيكان،الرياض،الطبعة الأولى؛1418هـ-1998م.
5. الشهرستاني،أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد.الملل والنحل.تحقيق:أمير علي مهنا،علي حسن فاعو،دار المعرفة،بيروت-لبنان،الطبعة الثالثة؛1414هـ-1993م.
6. الطبرسي،أبو علي الفضل بن الحسن.مجمع البيان في تفسير القرآن.دار الفكر،دار الكتاب،بيروت – لبنان،1376هـ-1957 م.
7. القرطبي،أبوعبد الله محمد بن أحمد.الجامع في لأحكام القرآن.خرج أحاديثه:محمد بن عباد بن عبد الحليم،أحمد بن شعبان بن محمد،مكتبة الصفا،القاهرة-مصر،الطبعة الأولى؛1425هـ-2005م.
8. ابن عاشور،محمد الطاهر.التحرير والتنوير.الدار ا لتونسية،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984م.
9. ابن عربي،محي الدين.الفتوحات المكية.ضبطه ووضع فهارسه:أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،الطبعة الثانية؛1426هـ-2006م.
10. ابن عربي،محي الدين.تفسير القرآن الكريم.دار اليقظة العربية،بيروت-لبنان،الطبعة الأولى.
11. ابن عربي،محي الدين.فصوص الحكم.تحقيق:أبو العلا عفيفي،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان،الطبعة الثانية؛1980م.
12. العشي،بشيرة علي فرج.أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.منشورات جامعة قان يونس،بنغازي،ليبيا،الطبعة الأولى؛1999م.
13. النسفي،أبو البركات عبد الله بنأحمد بن محمود.تفسير النسفي.تحقيق:سيّد زكريا،مكتبة نزار مصطفى الباز.
14. الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.شرح الأصول الخمسة.تعليق:أحمد بن الحسين بن أبي هاشم،قدم له:عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة،مصر،الطبعة الثالثة؛1416هـ-1998م .
15. الهمذاني،أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد.تنزيه القرآن عن المطاعن.دار النهضة الحديثة،بيروت-لبنان.